العنوان:	ابن حزم في سير النبلاء
المصدر:	مجلة المجمع العلمي العربي
الناشر:	المجمع العلمي العربي
المؤلف الرئيسي:	الأفغاني، سعيد المرحوم
المجلد/العدد:	مج 16, ج 9,10
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	1941
الشهر:	تشرين الأول
الصفحات:	387 - 399
رقم MD:	260708
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	ابن حزم، علي بن أحمد بن سعيد، ت 456 هـ، التراجم، كتاب سير أعلام النبلاء، مؤلفات ابن حزم
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/260708

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

الأفغاني، سعيد المرحوم. (1941). ابن حزم في سير النبلاء.مجلة المجمع العلمي العربي، مج 16, ج 9,10، 387 - 399. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/260708

إسلوب MLA

الأفغاني، سعيد المرحوم. "ابن حزم في سير النبلاء."مجلة المجمع العلمي العربيمج 16, ج 9,10 (1941): 387 - 399. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/260708

© 2024 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

ابن حزم في (سير النبلاء)

« نشرت كتابي (ابن حزم الأندلسي ورسالته في المفاضلة بين الصحابة) في ربيع الأول سنة ١٣٥٩ هـ [ايار ١٩٤٠ م] وكنت نشرت منه قبل ذلك فصلاً في مجلة الثقافة المصرية وآخر في مجلة التمدن الاسلامي الدمشقية ، ثم تلقيت بالبريد المضمون آخر عام ١٣٥٩ هـ مغلفاً فيه رسالة خطية عنوانها : « ترجمة ابن حزم رحمه الله ، منقول من النبلاء للذهبي » وكلاماً آخر عرفت منه ان في خزانة صاحب الجلالة الامام يحيى حميد الدين صاحب اليمن نسخة من كتاب النبلاء بصنعاء ، وان وجيه الحجاز الشيخ محمد نصيف لما علم باشتغالي بدراسة الامام ابن حزم حملته اريحيته ونبله فكلف السيد محمد بن احمد الحجري بنسخ ترجمة ابن حزم من النبلاء ثم أوصلها الي .

والرسالة المهداة كتاب مستقل كما الفه الذهبي وقد قرئ عليه وفي آخره سماعان احدهما بخطه كتبه بدمشق سنة ٧٣٦ والثاني كتبه بدمشق ايضاً ابن جماعة سنة ٧٤٠ هـ فرأيت من الواجب — وللرسالة هذا الخطر — ألا أستأثر بها وان انشرها في مجلة المجمع العلمي العربي تعميماً لفائدتها .

وانا اذ أشكر فضل الشيخ محمد نصيف وغيرته على العلم لا يسعني إلا ان ارفع الى صاحب الجلالة اليمنية على صفحات هذه المجلة رجائي ورجاء كثير من خدمة العلم : ان يأمر بطبع هذا الكتاب النفيس فيبرد بذلك غلة العطاش من رواد العلم ويجبي أثراً نفيساً ويضيف الى مآثره الجليلة هذه المحمدة الجديدة ، ويحقق امنية ليس احق بتحقيقها من الملك العالم المجتهد الفقيه . ودمشق تغتبط اذا امر جلالته فأرسل هذه النسخة النادرة المحلاة بخط مؤلفها ، الى مجمعنا العلمي فيقوم باعدادها للنشر ، ومن الحق ان تقوم دمشق بنشر أثر خرج من خزائنها وألفه في مدارسها ابنها وأحد مفاخرها الخالدة على وجه الدهر »

وهذه كلمة عن المؤلف الامام الذهبي وعن كتابه سير النبلاء أقدمها بين يدي الرسالة :

شهد القرن الثامن للهجرة علماء محدثين وحفاظاً أعلاماً ، استأثر بالاجماع منهم أربعة كان اليهم المرجع ، وعليهم المعول ، وانعقدت لهم الامامة في الحديث ومعرفة الرجال : وهم الحافظ المزي والبرزالي وتقي الدين السبكي ومترجمنا شمس الدين الذهبي . وقد كان مترجموه من جلة العلماء كتاج الدين السبكي والجلال السيوطي والحافظ ابي المحاسن الحسيني الدمشقي وصاحب (فوات الوفيات) وخليل ابن ايبك الصفدي صاحب (نكت الهميان في نكت العميان) وغيرهم ، فأطبقوا جميعاً على أنه حافظ

عصره الذي تشد اليه الرحال من مختلف الاقطار . وناهيك بشهادة هؤلاء الحفاظ المحدثين الأجلاء .

مولده ونسبه

كان مولد شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان بن قايماز التركماني بدمشق سنة ٦٧٣ واصله من ميافارقين واشتهر بالذهبي [١] ونعته الحافظ الحسيني بـ « شيخ المحدثين قدوة الحفاظ والقراء محدث الشام ومؤرخه ومفيده » [١]

طلبه ونبوغه

بدأ بطلب الحديث وله ثمان عشرة سنة ، فسمع على شيوخ الشام ومصر ومنهم شيخ الاسلام ابن دقيق العيد ، وكان هذا « شديد التحري في الإسماع [٢] » لم يقبله حتى اختبره في معرفة الرجال وسأله اشياء اجابه عنها بسداد . ثم جاب مدن الشام يلقى فيها الشيوخ فسمع بدمشق وبعلبك وحمص وحماة وحلب وطرابلس ونابلس والرملة والقدس ورحل الى الاسكندرية وبلبيس والقاهرة ومكة [٣] حتى صار « إمام الوجود حفظاً وشيخ الجرح والتعديل ورجل الرجال في كل سبيل [٤] » فرسخت قدمه وذاعت شهرته وضرب بحفظه المثل .

وأقام بدمشق يقصده فيها العلماء من طلاب الحديث من كل قطر ومصر وتنهال عليه الأسئلة من البلدان فيجيب عليها من حفظه . وكان في القراءات عالماً جامعاً . قرأ القرآن وأقرأه على الوجوه السبعة .

شيوخه وتلاميذه

بلغ عدد الذين ذكرهم في (معجم أشياخه) ثلاثمائة شيخ والف شيخ [٤] .

وقد حفظت لنا كتب الطبقات بعض الأعلام المشهورين ممن قرأ عليهم وأقرأهم ،

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٤ (دمشق ١٣٤٧ هـ) (٢) نكت الهميان ص ٢٦٢ فما بعد وشذرات الذهب ٦ : ١٥٤ (٣) السبكي في طبقات الشافعية ٥ : ٢١٦ (٤) فوات الوفيات ٢ : ١٨٣ وفيها وفي طبقات الشافعية ذكر لبعض شيوخه المشهورين فانظرهم ثمة .

جاء في شذرات الذهب : « أجاز له ابو زكريا ابن الصيرفي والقطب ابن ابي عصرون ، والقاسم الإربلي . سمع بدمشق من عمر بن القواس واحمد بن هبة الله بن عساكر ويوسف بن احمد الغسولي وغيرهم ، وببعلبك من عبد الخالق بن علوان وزينب بنت عمر بن كندي وغيرهما ، وبمصر من الابرقوهي وعيسى بن عبد المنعم بن شهاب وشيخ الاسلام ابن دقيق العيد ، وسمع بالاسكندرية من ابي الحسن علي بن احمد الغرافي وابي الحسين يحيى بن احمد بن الصواف وغيرهما ، وبمكة من التوزي وغيره ، وبنابلس من العماد بن بدران [١] »

« وأجاز له خلق من اصحاب ابن طبرزد والكندي وحنبل وابن الحرستاني وغيرهم وخرج لجماعة من شيوخه وجمع القراءات السبع على الشيخ عبد الله بن جبريل المصري نزيل دمشق [٢] » .

وقد حمل عنه الكتاب والسنة وعلم الرجال خلائق لا يحصون كثرة ، وحسبك ان منهم التاج السبكي صاحب طبقات الشافعية الكبرى ، والسيوطي المؤلف المكثر ، وانظر قدره عندهما في ترجمتهما له فيما الفا من كتب الرجال . ومنهم الصفدي صاحب « نكت الهميان » واليك شهادته فيه في كتابه نكت الهميان ، قال :

« اجتمعت به وأخذت عنه وقرأت عليه كثيراً من تصانيفه ولم أجد عنده من جمود المحدثين وكوذنة النقلة ، بل هو فقيه النظر له دربة بأقوال الناس ، ومذاهب الائمة من السلف وارباب المقالات . وأعجبني ما يعانيه في تصانيفه من أنه لا يتعدى حديثاً يورده حتى يبين مافيه من ضعف متن او ظلام إسناد أو طعن في رواة ؛ وهذا لم أر غيره يعاني هذه الفائدة فيما يورده . [٣] » وقد قرأ عليه الصفدي هذا من تاريخ الاسلام المغازي والسيرة النبوية الى آخر ايام الحسن رضي الله عنه ، وجميع الحوادث الى آخر سنة سبعمائة .

---

(١) شذرات الذهب ٦ : ١٥٤ (٢) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٤٦ ، ٣٥٦ (٣) نكت الهميان في نكت العميان ص ٢٤٢

عمله ووفاته ورثاؤه

ولي في حياته «مشيخة الظاهرية قديماً ومشيخة النفيسية والفاضلية والتنكزية وأم الملك الصالح» حتى اذا كان عام ٧٤١ كف بصره فانقطع عن التأليف واكب على التدريس الى ان وافاه اجله «ليلة الاثنين ثالث ذي القعدة سنة ٧٤٨[١]»

روى التاج السبكي في طبقاته ان وفاة الذهبي كانت «بالمدرسة المنسوبة لأم الصالح[٢] في قاعة سكنه وراه الوالد (يعني تقي الدين السبكي) رحمه الله قبل المغرب وهو في السياق وقال: كيف تجدك؟ فقال: في السياق، ثم سأله: أدخل وقت المغرب؟ فقال له الوالد: الم تصل العصر؟ فقال: بلى ولكن لم أصل المغرب الى الآن. وسأل الوالد رحمه الله الجمع بين المغرب والعشاء تقديماً فأفتاه بذلك، ففعله. ومات بعد العشاء قبل نصف الليل ودفن بباب الصغير، حضرت الصلاة عليه ودفنه.[٣]» وهكذا انقضت حياة حافلة بالعلم والتعليم والدين والتقى. فبكاه العلم وأهله، وبكته المدارس وحلقات التدريس، وفقدته بيوت الكتب التي طالما ملأها بالمفيد الممتع من مصنفاته في علوم الكتاب والسنة والشريعة. وهذه ابيات مما رثاه به تلميذه التاج السبكي:

من للحديث وللسارين في الطلب ... من بعد موت الامام الحافظ الذهبي
من للرواية والاخبار ينشرها ... بين البرية من عجم ومن عرب
من للدراية والآثار يحفظها ... بالنقد من وضع اهل الغي والكذب
من للصناعة يدري حل معضلها ... حتى يريك جلاء الشك بالريب
هو الامام الذي روّت روايته ... وطبق الأرض من طلابه النجب

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ (٢) هي على يمين المنحدر في زقاق المحكمة قبيل آخره وفي محلها اليوم دار بدير ودار تقي الدين ولا تزال معالم المدرسة ظاهرة عليها ـ كذا أخبرني أحد المطلعين، شأنها في ذلك شأن غيرها من عشرات المدارس التي آوت غرفها كبار العلماء والحفاظ والقراء والفقهاء ومن هذه الغرف خرجت إلى أقطار العالم آلاف الكتب النفيسة التي انتفع بعلمها واهتدى بهديها الملايين من البشر
(٣) طبقات الشافعية

ثبت صدوق خبير حافظ يقظ في النقل اصدق انباء من الكتب
الله اكبر ما أقرا وأحفظه من زاهد ورع في الله مرتقب[١]

شهرته العلمية ومنزلته بين الحفاظ

وبعد فالذهبي احد مفاخر دمشق على وجه الدهر ، جعل منها طول حياته محطاً «يُرحل اليه من سائر البلاد وتناديه السؤالات من كل ناد»[٢] فهو واحد من أولئك الأعلام الذين ساهموا في بناء مجدها العلمي العظيم وصاروا أمنية المتمني والغاية التي يتطلع إليها كل طامح : حكي عن شيخ الاسلام ابي الفضل بن حجر انه قال : «شربت ماء زمزم لأصل الى مرتبة الذهبي في الحفظ .»[٣]

وجعله السيوطي احد اربعة كان المحدثون في عصره عيالاً عليهم في الرجال وسائر فنون الحديث وهم : المزي والذهبي والعراقي وابن حجر . «وقد قارن حافظ الشام ابن ناصر الدين بين الذهبي والبرزالي والمزي فحكم للمزي بالتفوق في معرفة رجال طبقات الصدر الأول ، وللبرزالي في العصريين ومن قبلهم من الطبقات القريبة منهم ، وللذهبي في الطبقات المتوسطة بينهما تأييداً لقول بعض مشايخه . على ان الأهواء قلما تنغلب على المزي والبرزالي في تراجم الناس بخلاف الذهبي»[٤]

مؤلفاته

عاش خمساً وسبعين سنة ترك خلالها نحواً من مئة مصنف جمعت من أسمائها ستة وثمانين ، بعضها مشهور متداول كثر منه النفع وعظمت اليه الحاجة .

قرأت مسارد تآليفه في المصادر التي ترجمت له ، فرأيت اكثرها في الحديث ورجاله وما بقي منها ففي التاريخ . وأقصد بالتاريخ هنا : فن التراجم الذي برع فيه العرب براعة ما بعدها غاية ، وتفننوا فيه فنوناً شتى . أما مؤلفاته التي ضمنها ما «جرح

(١) اختار هذه الابيات السيوطي في ذيل طبقات الحفاظ ص ٣٤٩ وانظرها مختارة بقلم ناظمها في طبقات الشافعية ٥:٢١٩ (٢) كلمة السبكي (٣) ذيول تذكرة الحفاظ ص ٣٤٨ (٤) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ الحاشية

وعدّل وفرّع وصحح وعلل واستدرك وأفاد وانتقى واختصر من تآليف المتقدمين والمتأخرين [١] » فقد حوت علماً كثيراً وتيسيراً على العلماء والطلبة ، وأشير هنا الى ان من اطولها تاريخه الكبير المسمى بتاريخ الاسلام في عشرين مجلداً [٢] ، طالعه الحافظ الزملكاني جزءاً جزءاً حتى أنهاه فشهد له بالجلالة [٣] ولعله اعظم مؤلفاته الكبار في التاريخ على الاطلاق .

ويليه في الضخامة (سير النبلاء) وهو ما نحن بصدد نشر جزء منه اليوم ، والذي يؤخذ من الذين ارخوا الذهبي ان (النبلاء) مختصر من تاريخه الكبير [٤] والذي اميل اليه انه انتقى تراجم من التاريخ الكبير فجمعها في سير النبلاء . والذهبي نفسه تفنن في الاستفادة من تاريخه الكبير فاختصره على عدة مرات ، جاء في شذرات الذهب في صدد مؤلفاته : « منها تاريخ الاسلام ، ومختصر سير النبلاء في عدة مجلدات كثيرة ، ومختصر العبر في اخبار من غبر ، ومختصر آخر سماه الدول الاسلامية ومختصره الصغير المسمى بالاشارة ومختصره ايضاً وسماه الإعلام بوفيات الأعلام [٥] » والذهبي في هذا الفن من التاريخ يكاد لا يجاريه احد وكتبه في الرجال على اختلاف فنونها لا يستغني عنها باحث اليوم .

وإليك جريدة مؤلفاته التي جمعتها من مصادر مختلفة [٦] ، ولا بد من الاشارة الى انه قد يكون فيها اسمان لكتاب واحد ، كل مصدر يذكره باسم ، كما ان اكثر ما قصر على التراجم هو — في رأيي — جزء من التاريخ الكبير على ما سيمر بك اذا بلغت الكلام على (سير النبلاء) ولعل في غير التراجم ما يدخل ايضاً في هذا الباب :

---

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ (٢) المصادر السابقة وكشف الظنون ومنه اجزاء في الخزانة الاحمدية بحلب (٣) فوات الوفيات (٤) كشف الظنون (٥) منه نسخة رأيتها في دار الكتب الظاهرية وعليها سماع بخط الذهبي نفسه كتبه سنة ٧٣٥ هـ رقمها : مجموعات ١١٦ / ١١

(٦) فوات الوفيات ٢ : ١٨٣ ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ ، ٣٦٨ ، شذرات الذهب ٦ : ١٥٤ . طبقات الشافعية للسبكي ٥ : ٢١٦ فما بعد ، نكت الهميان ص ٢٦٢ ، كشف الظنون ، قاموس الاعلام .. وغيرها .

١ آداب حملة العلم
٢ أحاديث الصفات
٣ أحاديث مختصر ابن الحاجب
٤ أخبار السد
٥ « ابي مسلم الخراساني
٦ اختصار تاريخ الخطيب (جزءان)
٧ « تاريخ ابن السمعاني
٨ « « ابن عساكر (عشرة اجزاء)
٩ « « نيسابور
١٠ « تقويم البلدان لصاحب حماة
١١ « سنن البيهقي (خمسة اجزاء)
١٢ « كتاب الاطراف (جزءان)
١٣ « كتاب البعث للبيهقي
١٤ « « الجهاد لابن عساكر
١٥ « « جواز السماع لجعفر الادفوي
١٦ « « الرد على الرافضة لابن تيمية
١٧ « « الزهد
١٨ « « سلاح المؤمن في الادعية
١٩ « « العلم لابن عبد البر
٢٠ « « الفاروق لشيخ الاسلام الانصاري (مع اختصار وتهذيب)
٢١ اختصار كتاب القدر للبيهقي
٢٢ « « المستدرك للحاكم (جزءان)
٢٣ اختصار وفيات المنذري والشريف النسابة
٢٤ الاصابة في تجريد اسماء الصحابة
٢٥ الاعلام والتجريد في اسماء الصحابة [لعلها واحد]
٢٦ الإمامة الكبرى
٢٧ تاريخ الاسلام (عشرون مجلداً)
٢٨ التاريخ الممتع (ستة اجزاء)
٢٩ تاريخ النبلاء (الاكثر انه سير النبلاء عينه)
٣٠ التبيان في مناقب عثمان
٣١ التجريد في اسماء الصحابة (لعله الذي مر)
٣٢ تحريم الأدبار (جزءان)
٣٣ تذكرة الحفاظ (اربعة اجزاء)
٣٤ تذهيب التهذيب للكمال (ثلاثة اجزاء)
٣٥ ترجمة السلف
٣٦ التلويح بمن سبق ولحق
٣٧ التمسك بالسنن
٣٨ تنقيح احاديث التعليق لابن هوري
٣٩ توقيف اهل التوفيق على مناقب الصديق
٤٠ الثلاثين البلدية
٤١ جزء صلاة التسبيح
٤٢ « في الشفاعة
٤٣ جزءان في صفة النار
٤٤ جزء في فضل آية الكرسي

٤٥ دعاء المكروب
٤٦ دوام النار
٤٧ دول الاسلام
٤٨ الروع والادجال في بقاء الدجال
٤٩ الزلازل
٥٠ الزيادة المضطربة
٥١ سير اعلام النبلاء
٥٢ سيرة الحلاج
٥٣ طبقات الحفاظ
٥٤ ″ القراء (وسماه القراء الكبار على الطبقات والأعصار)
٥٥ طرق احاديث النزول
٥٦ العباب في التاريخ
٥٧ العبر في اخبار البشر
٥٨ ″ ″ خبر من غبر (لعله ماقبله)
٥٩ العرش
٦٠ العلو
٦١ فتح المطالب في اخبار علي بن ابي طالب
٦٢ فضل الحج وافعاله
٦٣ قض نهارك بأخبار ابن المبارك
٦٤ الكاشف (اختصار التذهيب)
٦٥ الكبائر
٦٦ كسروشن رتن الهندي ؟
٦٧ اللباس
٦٨ المحرر في اسماء رجال الكتب الستة (في ذيل تذكرة الحفاظ: المجرد)
٦٩ مختصر ذيل ابن الدثيني
٧٠ ″ في القراءات
٧١ مسألة السماع
٧٢ مسألة الغيب
٧٣ المستحلى اختصار المحلى
٧٤ المستدرك على مستدرك الحاكم
٧٥ المشتبه في الأسماء والأنساب والكنى والالقاب
٧٦ معجم اشياخه وهو ١٣٠٠ شيخ (كبير وأوسط وصغير)
٧٧ المعجم المختص
٧٨ المقتفى في الضعفا
٧٩ المقتنى في الكنى
٨٠ من تكلم فيه وهو موثق
٨١ الموت وما بعده
٨٢ ميزان الاعتدال (ثلاثة اجزاء)
٨٣ نبأ الدجال
٨٤ نعم السمر في سيرة عمر
٨٥ نفض الجعبة في اخبار شعبة
٨٦ هالة البدر في عدد اهل بدر

هذا وقد أعجبتني في الدلالة على براعته في فنه كلمة السبكي اذ قال فيه : « كأنما جمعت الأمة في صعيد واحد فنظرها ثم أخذ يخبر عنهـا اخبار من حضرها . » كذلك كان رحمه الله .

شيء من نظمه

لعل من تمام الصورة ان نعرض ما عرضه مترجموه من شعره ، فلا مفر لك من أن تجد في كتب الرجال عندنا آخر كل ترجمة وان لم يكن صاحبها شاعراً قولهم : ومن شعره . وقد حلا لي أن أحيي هنا هذا التقليد احتراماً لمترجمنا الذي كان أحد زعمائه الكبار . كان شعره رحمه الله شعر فقيه تغلب فيه آثار صنعته ، ولا غرابة في ذلك ، فأشد شيء أثراً في المرء ما وقف حياته ليلها ونهارها على الاشتغال فيه :

قال التاج السبكي انشدنا شيخنا الذهبي من لفظه لنفسه :

تولى شباب كأن لم يكن ... وأقبل شيب علينـا تولى

ومن عاين المحنى والنقا ... فما بعد هذين الا المصلى [1]

وانشدنا لنفسه وارسل بها معي الى الوالد (يعني تقي الدين بن السبكي) رحمه الله وهي فيما أراه آخر شعر قاله لأن ذلك كان في مرض موته ؛ قبل موته بيومين او ثلاثة :

تقي الدين يا قاضي الممالك ... ومن نحن العبيد له وانت مالك

بلغت المجد في دين ودنيـا ... ونلت من العلوم مدًى كمالك

ففي الاحكام أقضانا علي ... وفي الخدام مع أنس بن مالك

وكابن معين في حفظ ونقـد ... وفي الفتيا كسفيان ومالك

وفخر الدين في جدل وبحث ... وفي النحو المبرد وابن مالك

وتسكن عند رضوان قريبـاً ... كما زحزحت عن نيران مالك

(١) طبقات الشافعية ٥:٢١٦

لتعطى في اليمين كتاب خير ولا تعطى كتابك في شمالك
تشفع في أناس في فراك لتكسوهم ولو من رأس مالك

وذكر بعدها ابياتاً على هذا النمط تتعلق بمدحي لم اذكرها وختمها بقوله :

وللذهبي إدلال الموالي على المولى بحلمك واحتمالك[1]

وله منظومة في المدلسين انظرها في الطبقات المذكورة (٥ : ٢١٨)

مآخذ العلماء عليه :

من الواجب ان نذكر هنا ما اخذه عليه بعض العلماء : فقد ذهبوا الى انه يقع أحياناً فيمن خالفه وأحياناً يطوي ذكره أو لا يوفيه حقه ، فاذا كان المترجم حنبلياً أفاض في تقريظه . ومعاصروه أدرى بنصيب المبالغة من هذا الحكم ، إلا أني ارى من الطرافة ان انقل كلام تلميذه السبكي صاحب الطبقات الذي قدمنا لك اعجابه به ورثاءه له . ولعل القارئ لا ينسى ان السبكي أيضاً شديد الميل والعصبية الى الشافعيـة قال : « وكان .. شديد الميل الى آراء الحنابلة ، كثير الازراء بأهل السنة الذين اذا حضروا كان ابو الحسن الأشعري فيهم مقدم القافلة ، فلذلك لا ينصفهم في التراجم ، ولا يصفهم الا وقد رغم منه أنف الراغم : صنف التاريخ الكبير وما أحسنه لولا تعصب فيه[2] »

* * *

« وقد انتقده على خطته في تراجم الناس انتقاداً مراً الحافظ ابن المرابط محمد بن عثمان الغرناطي والتاج ابن السبكي ونسباه الى التعصب المفرط ولا تخلو خطته في التراجم من ذلك لا سيما في تراجم الحشوية ومخالفيهم ، لبعـده عن المعقول والعلوم النظرية واكتفائه بالرواية والسماع كما هو شأن غالب الرواة المنصرفين الى السماع والرواية من صغرهم قبل النظر في مبادي العلوم سامحه الله . وقال ابن الوردي في تاريخه : « واستعجل قبل الموت فترجم في تواريخه الأحياء المشهورين بدمشق وغيرها

(١) المصدر السابق ص ٢١٨ (٢) طبقات الشافعية ٥ : ٢١٧

واعتمد في ذكر سير الناس على احداث يجتمعون به وكان في أنفسهم شيء من الناس فآذى بهذا السبب في مصنفاته أعراض خلق من المشهورين[١] . اهـ

هذا قولهم فيه ، وقلما أرخ مؤلف لمعاصريه إلا كثر فيه الكلام ، والمرء يخضع للضعف البشري حين يتكلم على من له معهم العلائق ، وهو متأثر لا شك برضاه وغضبه على رغمه ، مهما اجتهد في الانصاف ؛ وانما يؤاخذ الله المرء بنيته وهو بعد يخطئ ويصيب . وهؤلاء الذين انتقدوه يخالفونه فيما ذهب اليه من مذهب ، فمن ثمة كان رأيهم فيه موضع نظر . وما اكثر من كان عرضة للاتهام بعداء اهل السنة كلما أراد إصلاحاً ، أو نبذاً لبدعة شائعة ، او نقداً لخطئ تعتقد فيه العامة .

قيمة هذه الرسالة من سير النبلاء :

سير النبلاء[٢] كما في غالب المصادر عشرون مجلداً ، ذكره حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون فقال : « هو من جملة ما اختصره من تاريخه الكبير في نحو عشرين مجلداً مرتباً على التراجم بحسب الوفيات وله عليه ذيل في مجلد . وذيله ايضاً الحافظ تقي الدين محمد بن احمد الفاسي المتوفى سنة ٨٣٢ هـ » ولصاحب « نكت الهميان » كلمة في التعريف به تفيدنا في معرفة الصورة التي رتب فيها الذهبي هذا الكتاب قال : « وله في تراجم الأعيان لكل واحد مصنف قائم الذات مثل الائمة الاربعة ومن جرى مجراهم لكنه أدخل الكل في تاريخ النبلاء[٣] »

فعلى هذا يكون سير النبلاء مجموعاً من كتب كثيرة عددها يساوي عدد المترجمين فيه ، واذاً تكون رسالتنا التي ظفرنا بها عن ابن حزم أحد هذه الكتب ، وبه نعرف نسق هذا الكتاب الجليل في جزء مهم منه .

قابلت هذه الرسالة بما في تذكرة الحفاظ للمؤلف نفسه عن ابن حزم ، فوجدت خلافاً يسيراً

(١) ذيل تذكرة الحفاظ ص ٣٥ الحاشية . (٢) وقد يسمى سير اعلام النبلاء ، وتسميه بعض المصادر : تاريخ العلماء والنبلاء (فوات الوفيات) وبعضها : تاريخ النبلاء : « نكت الهميان وفوات الوفيات »
(٣) هذه الكلمة نفسها في فوات الوفيات

في الترتيب وتفاصيل زائدة ، ورأيت اسلوب اهل الحديث في رسالتنا هذه أظهر ، وفنهم فيها أغلب . فستعرف منها أعلى سند عند ابن حزم وأنزل سند ، وأجود سند ، ولا يدع الذهبي ان يذكر لنا سنده الى ابن حزم .. ثم النبي صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث . فنغتبط اذ نرى اعلام الحجاز والعراق والشام والاندلس واحياناً مصر والمغرب في سند واحد وهو شيء طريف حقاً .

وفيها بعض أشعار لم اجدها في مصدر أصلاً على كثرة المصادر التي اطلعت عليها حين دراستي لابن حزم ، وسأشير الى ذلك اذا وصلت اليه .

اما المزية الظاهرة لهذه الرسالة فهي في حفظ كثير من اسماء مؤلفات ابن حزم فقد ذكر منها نحو السبعين على حين لم استطع ان اجمع في كتابي عن (ابن حزم) أكثر من ثلاثة وخمسين كتاباً وبعضها لا ذكر له في هذه السبعين ، وهي بين كتاب ضخم يبلغ خمسة عشر الف ورقة وجزء قد لا يعدو الأوراق . والذي يدعو الى الغرابة ان يكون بين هذه المؤلفات خمسة عشر في الطب خاصة .

ويستطرد الذهبي في رسالته هذه فيذكر كلاماً نفيساً في الاجتهاد والتقليد والرياء وأنه داء الفقهاء والتجار الاسخياء والواقفين والمجاهدين ... فيبدو لنا جديداً في اسلوبه يعنى بعض العناية بالتحليل النفسي والمناقشة المنطقية .

ويؤخذ عليه ما يؤخذ على اكثر مؤلفات عصره : شيء من الفوضى في الترتيب وتداخل في الموضوعات لا يصل الى حد تشتيت الذهن ، الا انه في ذلك هنا خير منه في تذكرة الحفاظ . وعدد شيوخ ابن حزم في تذكرة الحفاظ أوفى .

وهذا أوان الشروع في نشر الرسالة : [1]

---

(١) مزية النسخة التي استنسخها لي الشيخ محمد نصيف انها عن نسخة كتبت في عصر المؤلف وقرئت عليه وعليها خطه . الا انها كثيرة التصحيف وفيها نقص في بعض المواضع وقد توفقت الى وجه الصواب فيها في غير صعوبة ، لأن كثيراً من المصادر التي نقل عنها الذهبي ميسورة لنا وساعدني على ذلك اشتغالي السابق بالموضوع ، فأنا اذاً لا أشير الا الى القليل من الخطأ في الاصل . وقد قسمت الرسالة الى موضوعات صغرى جعلتها بين معقوفتين [ ]

نموذج من خط الذهبي صاحب سير النبلاء

سماع بخط الذهبي نفسه على كتابه (الإعلام بوفيات الأعلام)

المحفوظ بدار الكتب الظاهرية (مجموع ١١٦/١١)

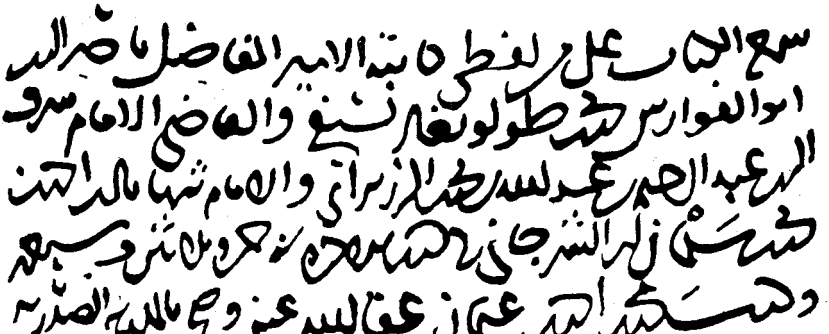

ونصه : سمع الكتاب علي من لفظي كاتبه الأمير الفاضل ناصر الدين ابو الفوارس محمد بن طولوبغا السيفي والقاضي الإمام شرف الدين عبد الرحيم بن عبد الله بن محمد الزيراني والإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن سلمان ابن الشرجاني في جمادي الآخرة سنة خمس وثلاثين وسبعمائة .

وكتب محمد بن احمد بن عثمان عفا الله عنه وصح بالمدرسة الصدرية .